الفصل الثالث

الغزو التربوى للعالم الاسلامى

● **توطئة :**

فى أكثر من مكان تعرضنا لحديث الغزو الفكرى للعالم الاسلامى(١) واستطعنا بفضل الله أن نثبت أن غزو الفكر والعقيدة كان بديل غزو الأرض والتراب ..

وقلنا ان المسلمين غفلوا عن الغزو الجديد فى حين انتبهوا للغزو القديم ..

وقلنا ان الغزو الجديد أخطر من القديم لأنه استهدف ما هو أعز وأكرم على الله وعلينا من الأرض والتراب ، ولأنه لا يوقظ النوام ولا ينبه الغافلين ، وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين !

ونعرض بمشيئة الله لأدوار هذا الغزو .. ثم نعرض لميادينه التى يمارسها الآن .

---

(١) كتاب « الغزو الفكرى للعالم الاسلامى » بالاشتراك ـ « حاضر العالم الاسلامى » للمؤلف،كتاب«التخطيط للدعوة الاسلامية» للمؤلف ، « الاتجاهات الفكرية المعاصرة » للمؤلف .

أولا : أدوار الغزو الفكرى للعالم الاسلامى

مر الغزو الفكرى ـ كما بينا فى أكثر من مكان (٢) ـ بأدوار ثلاثة :

أما الأول ـ فكان يدعو صراحة الى تنصير المسلمين ٠

وكان يعتبر هذا الهدف بديلا كافيا عن هزيمته فى الحروب الصليبية ، ولقد كانت وصية لويس التاسع ملك فرنسا الذى أسر فى دار ابن لقمان فى المنصورة اثر هزيمة الحملة الصليبية على مصر ـ كانت هذه الوصية أساسا لسياسة طويلة المدى ، حلت فيه الكلمة محل القذيفة،والمدرسة والارسالية محل جيش الاحتلال،وعمدت الدول الصليبية المتعصبة الى دعم الغزو الجديد سياسيا ، وأحيانا لجأت الى قوة الاحتلال مساندة للغزو الجديد (٢) ٠

ونجح الغزو الجديد فى بعض المناطق ، وأغرى الغزاة بالتوسع والاستمرار ٠

وفشل فى مناطق أخرى ودعا الغزاة للبحث عن البديل ٠

---

(٢) المراجع السابقة ـ والمراجع المشار اليها فيها ٠

(٣) راجع الاتجاهات الفكرية المعاصرة للمؤلف ـ وراجع «أقوال» للمبشر لورنس براون ، وقد عالج بعضهم المسألة الاسلامية تحت عنوان « المصيبة الاسلامية » ـ وقول بعضهم : « لابد للشجرة أن يقطعها أحد أبنائها » ٠

بيد أن فشله فى تحقيق « هدف التنصير » كان أكثر من نجاحه ٠

وفى بعض المواقف جرى تقويم لسياسة التنصير ، فأثبتت الأرقام أن آلاف المبشرين مؤيدين بملايين النقود ، فضلا عن النفوذ السياسى ٠٠لم ينجحوا الا مع أرقام تعد بالآحاد ولا تغادر العشرات. وأن بحث حالات تلك العشرات أسفر عن أن أكثرها كان لقيطا عاش فى الملاجىء ، ووجد فى الدين الجديد « حضانة » افتقدها فى طفولته وصباه ، ومن ثم اتجه الى الدين الجديد ، فضلا عن أن عددا آخر دفعتهم المصالح الدنيوية الى اعتناق الدين الجديد ليجد عن طريقه المنصب والمال والعمل ! ٠ ٠ وبدأ التفكير فى البديل الجديد ٠

* * *

المرحلة الثانية ـ « زويمر » يقترح البديل :

وفى مؤتمر مشئوم انعقد بالعاصمة المقدسة «القدس» ٠٠ دعا فيه زعيم المبشرين الى البديل الجديد وكان من بين ما قال تبريرا لهذا البديل وتغطية للفشل الذى منوا به فى المرحلة الأولى :

« أيها الاخوان الأبطال والزملاء الذين كتب لهم الجهاد فى سبيل المسيحية واستعمارها لبلاد الاسلام ، فأحاطتكم عناية الرب بالتوفيق الجليل المقدس ، لقد أديتم الرسالة التى نيطت بكم أحسن أداء ووفقتم لها أسمى توفيق ، وان كان ليخيل الى أنه مع اتمامكم العمل على أكمل الوجوه لم يفطن بعضكم الى الغاية الأساسية منه ٠٠ اننى أتركم على أن الذين دخلوا فى حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين ٠٠٠٠

ولـكن مهمـة التبشير ... ليست هى ادخـال المسـلمين فى المسيحية ... وانما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الاسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله .... » (٤) .

وبدأت مرحلة جديدة ... يكتفى فيها باخراج المسلم من دينه دون أن يدخل دينا آخر .

لقد كان دخول المسلم دينا آخر .. أمرا يثير العصبية داخل نفس المسلم ، ثم داخل نفوس أهله واخوانه وجيرانه ومحبيه ـ أما فى البديل الجديد فانه يكتفى بالشق الأول من العملية : خروج المسلم من دينه ويعدل عن دخوله الدين الجديد .

.. ليس لأن فى ذلك تشريفا له وتكريما ـ كما كذب « زويمر » ـ ولكن لصعوبة الخطوة الثانية من جانب ، ولما تؤدى اليه من ردود فعل كثيرة من جانب آخر .

فهل نجح البديل الجديد ؟

قد يبدو من وجهة نظر أنه لم ينجح لأنه لم يضف شيئا الى دين النصارى .

لكنه من وجهة نظر أخرى نجح اذ فصل بين المسلم وبين دينه ، ومن جهل شيئا عاداه ..

هذا من جهة ، ثم من جهة أخرى فقد أمن النصارى « شر » واحد من المسلمين .

---

(٤) الاتجاهات الفكرية المعاصرة (للمؤلف ـ تحت الطبع)

فهو ان لم يسجل فى ايجابيات النصارى بانضمامه ، فهو مسجل فى سلبيات المسلمين بانفصاله !

وبقيت تجربة البديل الجديد ...

حتى وجد أن خروج المسلم من دينه تماما أمر صعب .

فالمسلمون فطروا على الوفاء ، فمن الصعب أن يقبلوا الداعية الى خروجهم من دينهم ومن ثم كان البديل فى طور ثالث أو مرحلة ثالثة .

* * *

المرحلة الثالثة ـ ابعاد المسلم عن دينه : التغريب ، التحديث ، التغيير الاجتماعى :

هذه هى المرحلة التى نعيشها الآن .

وهى المرحلة التى تغطى فيها « الشعارات » حقائق السياسات .

أو تتم فيها الحرب بايد تغطيها قفازات الحرير .. فتبدو لبقة ديبلوماسية رقيقة !

ومن ثم حلت عبارات : التغريب ، التحضر ، التمدن ، التحديث ، التغيير الاجتماعى ...

حلت هذه العبارات محل اخراج المسلم من دينه ، أو ابعاده عن ذلك الدين !

وشهدت الخمسينات من القرن العشرين هذا التغيير .

وتبدت العبارات الأولى على ألسنة الانجليز ، والعبارات الثانية على السنة الأمريكان .

وصحب ذلك التغيير تغيير فى القوى السياسية ... وكثرت الانقلابات العسكرية،لتحل الجيوش الوطنية محل الجيوش الأجنبية فى حراسة المكاسب الاجتماعية الجديدة .

وكان هناك أكثر من ميدان خاضته القوى السياسية خدمة لأغراض التبشير اللعين ... لكن هل معنى ذلك أن التنصير قد كف عن جهوده فى العالم الاسلامى ؟

نقول بعون الله : انه وان اعتبر الخطة الأخيرة خطة عامة لكنه لايزال اغراء الكسب لدينه قائما ، وقد نجح فى مناطق للأسف : ففى أندونيسيا ـ أكبر دولة اسلامية عددا ـ تم تنصير خمسة ملايين مسلم حسب تقارير الندوة العالمية للشباب وحسب معلوماتنا تصل الى عشرة ملايين ـ وفى افريقيا لايزال يعمل ، وفى أفغانستان المسلمة يمارسون التبشير وسط المهاجرين !

* * *

ثانيا : ميادين الغزو التربوى

● **وكان أول هذه الميادين واقدمها ميدان التعليم :**

بدأوا فيه بالارساليات (٥) ، وسبقت تلك جيوش الاحتلال

---

(٥) تأسست الجمعية التبشيرية الكنسية فى لندن عام (١٧٩٩) وكذلك المجلس الأمريكى لمندوبى البعثات التبشيرية ، وتأسست الجامعة الأمريكية فى بيروت عام ١٨٦٥ وكانت تحمل اسم الكلية السورية الانجيلية .

تمهيدا وتربية لحراس الاحتلال ، أو جاء الاحتلال تمكينا لها وتثبيتا وحماية لها ورعاية ٠

وانتشرت فى العالم الاسلامى المدارس الأجنبية (٦) ٠

وغشيها أبناء الطبقة الراقية أو « الأرستقراطية » ليكون من بينهم الحكام والوزراء ، ومديرى الجامعات وأصحاب المناصب الهامة فى الدولة ، وليتولى هذا الجيش الجديد مهمة اخراج المسلمين من دينهم ، أو ابعادهم عن الدين ، أو تحديثهم أو تغريبهم وتحضيرهم ـ بالعبارات الجديدة ٠٠

وتبع ذلك التدخل فى التعليم الوطنى نفسه (٧) ليسلب منه القرآن والدين واللغة العربية ، وليبقى ذلك التعليم علمانيا ـ يخرج الجيوش من العلمانيين الذين ليسوا بالمسلمين ولا النصارى ولا اليهود ٠

---

(٦) تأسست فى سوريا ثلاث وثلاثون مدرسة أجنبية فى أقل من عدد تلك السنين ، وفى لبنان ٢٠٠ مدرسة أمريكية فرنسية انجليزية روسية المانية ايطالية ، وفى مصر ما بين عام (١٨٤٤ ـ ١٩٤٣) جاءت ٣٣ ارسالية ، أنشأت فى مصر ٣٥ مدرسة فرنسية ، ٢٤ انجليزية ، وما بين (١٨٥٥ ـ ١٩٥٨) : ٨٤٧١ مدرسة أمريكية عدا مدرسة البنات الأمريكية (١٨٦٠) ، كلية البنات (١٩٠٦) والجامعة الأمريكية (١٩١٩) ٠

(٧) أنور الجندى فى كتاب «الغزو التربوى للعالم الاسلامى»٠

وتعدلت مناهج التعليم الوطنى على أساس من ذلك ٠

كما وضع على رأس واضعى المناهج وموجهى سياسات التعليم من تمت تربيتهم على أيدى اليهود والنصارى ، ووضع بعضهم على قمة التوجيه فى الجامعات ، وقمة التوجيه فى وزارات التعليم رغم أنه أعلن فى أكثر من مؤلف ما اعتبره الكثير من العلماء مرتدا عن الدين مفارقا للجماعة !

وأضفى على هؤلاء الألقاب وأغدقت عليهم المناصب ولم نعد بحاجة الى « دنلوب » فى كل وزارة للتعليم فقد تولى المهمة محمد ، وأحمد ، وطه ، وابراهيم ! (٨)

● **لكن ماذا فعلوا بالتعليم الدينى كالأزهر وما شابهه ؟**

لئن اكتفوا فى التعليم العادى بتوجيهه وجهة علمانية ، فقد عملوا على تخريب التعليم الدينى بأكثر من وجهة :

أساءوا الى سمعة أساتذته وطلابه بحملة اعلامية منظمة شارك فيها المقال ، والكاريكاتير ، والنكته والتمثيلية والمسرحية ٠

ووصل الازراء به والازدراء لشأنه أن خف المقبلون على الالتحاق به ٠

---

(٨) أنور الجندى فى كتابه « الغزو التربوى للعالم الاسلامى »

جعلوا خريجى الجامعات الدينية من مستوى وظيفى ومادى ، أدنى من خريجى الجامعات العلمانية مع أن سنى الدراسة فى الأولى أطول من الثانية مما كان يوجب الوضع العكس .

فمناصب الدولة الهامة – ابتداء من المناصب الدنيا الرفيعة وانتهاء الى المناصب العليا الرفيعة – لا تتم لخريج جامعة دينية : فالمحقق والقاضى والضابط والوزير ، ورئيس الدولة ، لا يمكن أن يكون خريج جامعة دينية باستثناء وزير الأوقاف .. وهى وزارة قصد لها أن تكون – بل أن تولد – ميتة !

وراتب خريج الجامعة العلمانية يبلغ فى فترة من الفترات ثلاثة أضعاف خريج الجامعة الدينية ولا يزال التمييز قائما – وان وحدت أكثر الكادرات – تحت أسماء أخرى .

أخيرا .. نفذت الوصية التى نادى بها فى مؤتمر التبشير المنعقد بالقاهرة (١٩٠٦) بضرورة تطوير الأزهر .. وتم ذلك بعد خمس وخمسين عاما على يد أول حاكم مصرى شعبى كما كانت تقول وسائل الاعلام !

وقبلها بست سنوات ألغيت المحاكم الشرعية فى مصر ، وهى التى كانت تمثل آخر ميدان لتطبيق الشريعة ، وذلك فى ظل حملة اعلامية حقيرة مست كرامة رجال الأزهر وخريجيه .

ولا تزال بقايا التعليم الدينى تشكو سوء المنهج ، وندرة القدوة وقلة التشجيع (٩) ٠

● **أما الميدان الثانى فقد كان « الاعلام » :**

ولعب الاعلام دورا خطيرا ابتداء من الصحف فى مؤخرة القرن التاسع عشر ومطلع العشرين ، ومرورا بالاذاعة التى غزت البيوت ، وانتهاء الى الرائى (١٠) الذى كان أخطر تلك الوسائل ، بما يحمل من قوة التأثير اذ يمارسه على حاستين فى آن واحد : السمع والبصر ويتبعهما الفؤاد !

وكانت قمة السخرية ظهور التسجيل المصور « الفيديو » الذى أفلت من كل رقابة وحمل السم زعافا يمزق القلوب ويمزق البيوت ، وما يذكر الا أولوا الألباب ٠

وفى أكثر من مكان تعرضنا للاعلام ٠٠ باعتباره يمارس التربية غير الاسلامية ، ، فى كل بيت مفتحما الأسوار والجدران ، ومشاركا للناس فى حجرات النوم بل حاجبا لهذا النوم عنهم !

ملهيا لهم عن ذكر الله وعن الصلاة ، مذكرا لهم بالشيطان بل ممكنا له بين أحضانهم !

وفى أكثر من صيحة تعالت أصوات المنذرين :

---

(٩) راجع الرسالة القيمة للأستاذة فتحية الحلوانى – المرجع السابق ٠

(١٠) تعريب لجهاز التليفزيون (Television) ٠

« ويندد المؤتمر بالهوة السحيقة التى تردى فيها اعلامنا ، ولا يزال الى اليوم يتردى .

« فبدلا من أن يكون منارة اشعاع للحق ، ومنبر دعوة الى الخير ، صار صوت افساد وسوط عذاب !

وسكت القادة ! فأقروا بسكوتهم ، أو جاوزوا ذلك فشجعوا وحموا .

« وطغى صوت الفساد على صوت الدعوة الى الله .

« وزلزل الناس فى ايمانهم وأخلاقهم ومثلهم .

« ولم يعد الأمر يحتمل السكوت من الدعاة الى الحق » (١١) .

وفى كل يوم يزداد الاعلام بعدا عن الاسلام واشادة بالقيم غير الاسلامية ، ويتولى مهمة التربية غير الاسلامية ... بالمقال ، والكاريكاتير ، والأغنية ، والتمثيلية والمسلسلة ، والقدوة السيئة من الممثلين والممثلات الذين أطلقت عليهم ألقاب النجوم والكواكب ليقتدى بهم الفارغون والفارغات ...

وضعف دور البيت الى جوار دور المدرسة والاعلام .

بل غزيت البيوت فى عقر دارها بالتربية الجديدة المخططة من دعاة جهنم !

---

(١١) المؤتمر العالمى الأول لتوجيه الدعوة واعداد الدعاة ـ المدينة المنورة ، صفر (١٣٩٦ هـ) .

● **أما الميدان الثالث فقد كان « القدوات الجديدة » :**

القدوات الجديدة فى مجال الفكر ..

القدوات الجديدة فى مجال الفن ..

القدوات الجديدة فى مجال النشاط الاجتماعى ..

القدوات الجديدة فى مجال النشاط السياسى ..

ان الجميع ـ الا من رحم ربى ـ قد تعرض للغزو التربوى ، بل تمت صياغته صياغة غير اسلامية ليكون من دعاة جهنم ... رغم أنه من جلدتنا ويتكلم بلساننا .

ألا يتم من خلال ذلك صياغة الجيل صياغة غير اسلامية ؟ !

* * *

ثانيا : ردود الفعل للغزو التربوى

لكن هل بقى هذا الغزو بلا رد فعل ؟ .. قد يكون ذلك هو البادى !

خاصة اذا نظرنا الى مجال السلطة فوجدنا فيها من لا يمت للتربية الاسلامية بصلة .

وبالأخص اذا نظرنا الى مجال التوجيه الفكرى والاعلامى والتربوى فوجدنا أكثرهم ينفذون أو يلتزمون المخطط الأثيم .

لكن النظرة العميقه تعطى غير ذلك .

ان ردود الفعل تعمل فى الأعمـاق وان بدا السطح هادئا غير منذر بخراب ..

وان النار تسرى تحت الرماد وان بدا الرماد باردا هادئا لاينذر باشتعال !

وان سنن الله وقوانينه لا تتخلف مجاملة لأعداء الله ، ولكنها تنتظر من يستحقون أن يتنزل عليهم النصر أو أن يتشرفوا بحمل راية لا اله الا الله !

ان جماعات كثيرة نفرت تبشر وتنذر ، وتدعو الى الله أكثرها على بصيرة ، وان قصر الجهد وقامت العقبات .

وان اقبالا للناس على تلك الجماعات التزاما بمنهج التربية الاسلامية الصحيح ، ودعوة الى منابع الاسلام الصافية .. كذلك كثير وكثير ..

وانه على دعاة جهنم – فى كل مجالاتهم – أن يختاروا : اما أن يتوبوا ويصلحوا ويعتصموا بالله ويخلصوا دينهم لله .... فيكونوا مع الصادقين .. والا فالنار تحت الرماد فى الدنيا تنذرهم بحريق ، ونار جهنم أشد حرا تنذرهم بعذاب جهنم وعذاب الحريق !

بيد أننا نشير الى ردود للفعـل غير سليمة أو صحيحة جنحت فى مقابل التفريط الواقع فى المجتمعات الى افراط فى التصور والحكم

فحكمت على الأفراد والمجتمعات بالكفر ، أو سترت الوصف بوصف آخر على ما نشير بمشيئة الله تعالى ٠

ولسنا مع الافراط كما أننا ننكر التفريط وكان بين ذلك قواما هو الوسط الأمثل الذى وصف الله به الأمة الاسلاميـة ، « **وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على النـاس ويكون الرسول عليكم شهيدا** » (١٢) ٠

* * *

(١٢) البقرة : ١٤٣ ٠

obeikandl.com